دراسة أدبية

تمزقات الحضراني (3-3)

عبدالوهاب الحراسي

هكذا ينقد المصدوم (الحضراني): الثقافة الدينية والفكر الديني السكوني، يرفضه، يناهضه حتى لكأنه سيتبرأ منه، لكنه في الأخير يعود إلى هويته المنقودة، لأنه في النهاية لايمكن له ان يكون غيره "يرجع البصر كرتين اليها" فيراها ليكرهها لكنه يعترف بها:

مر يومي معرضا عني بقية وبكبر
وعن الأمس أنا ثرت على الأمس بشعري
من أنا؟ أين أنا؟ أين مكاني؟ لست ادري
انأ دويشك يارب، وما غيرك ذخري
وكفاني، إنني أصبحت لا اجهل قدري

□□□

لكن الشاعر كأي شخص أو جماعة أو مجتمع يشعر بحقارة حاله وواقعه المتردي بعد ان كان له حضارة وتاريخ ساد على العالم، يرى أن من حقه الرفع من شأن مجتمعه، أمته وحضارته، فيحال باحثا عن طريق لذلك، فيجدها مغلقة إمامه. ولقد أدرك الشاعر بعمق حقيقة الواقع البائس للحضارة العربية، الأمر الذي أدى إلى القدرة على استشراف المستقبل (والذي هو اليوم الحاضر الذي تعيشه الأمة العربية):

"ويحه لم يستجب رأسي، ولم تسعف يدي؟
أتراه الداء- يالليهول-داء الأبد
لاتقولوا قد سرت رعشته في ولدي
ودعوني ازرع الآمال في دنيا الغد
(ص ١٦٥-١٦٧،ت١٩٧٣م)

ان انقسام -وتالف-الموقف الثوري في الشاعر إلى لحظتين أدى إلى تميزه وتمزقه في الوقت نفسه، والذي ظهر في النصوص السابقة بلغتين متنافرتين (لغة ساخطة عنيفة وأخرى رقيقة حانية) في النص الواحد الى درجة التناقض.

لكنه، بالرغم من ذلك، حتى الأن يقبل بثورة اللحظة الأولى- مفهوما وأسلوبا لثورة ٣٨-ذات اللغة العنيفة في مقابل لحظته الثورية الخاصة، وهو في نصه المعنون بـ" صفحتان من الرحلة وهامش" يعرف لنا مراحل التطور والتغير في الافكار والقناعات التي عاناها، بل ويتضمن هذا النص اجتماعا تراتبيا للحظتيه الثوريتين، وفيه يظهر التمزق الفكري والوجداني (الثورة الدموية-ثورة المواجهة مع الذات او الانقلاب عليها- الحيرة -الندم-الشك-الخلوصية واخيرا التسوية لوقف الارهاق الناجم عن الصراع الداخلي والفصام في شكله السياسي الاجتماعي الذي سنراه في المقاطع (٣،٤،٥) من النص:

"القرية تعرف والبندر
والكثرة في وطني الأكبر
الكل يشير بإعجاب
هذا قد ثار وما قصر
وأنا مازلت كبركان
يغلي، يتلظى، يتفجر"
مهلا ساقول لكم شيئا
ثار البركان وما فكر

□□□

ونلاحظ ان الشاعر في نهاية المقطع يشير إلى عدم اقتناعه بمفهوم الثورة المتداول (الحرب، العنف،الضحايا،....الخ) أو انه يضعها بين قوسين.ثم يتابع:

قلمي، كلمتي، أعماقي
ثارت،جنت،نفثت نارا
ومررت شواظاً من لهب
وسحقت كبارا وصغارا،
وكفرت بقومي تاريخا
وعبدت بلادي أحجارا
وحميت الدار،ولكني
لم احم الصاحب والجارا!

□□□

فيتضح لنا نظرته السلبية (العنيفة والدموية) للثورة وتردده تجاهها، بل وشعوره بالندم وتأنيب الضمير في حس مرهف عميق وواسع، ناجم-ربما- عن شعوره الفريد المتفرد بالخيانة لإيمانه بمفهوم الوطن/الوطنية (ذات المفهوم الذي يساوي الإنسان/ الآخر الذي معه وبها وله ومنه يمكن تحقيق حياة تقوم على تقاسم وتشارك لقيمة ومبادئه).

ويزداد عمقا لشعوره بالندم، بل أصبح ينهش أعماقه كلما تذكر أن الثورة التي تبناها قد نالت من أشخاص أحسنوا إليه:

كم قلب رف ليغمرني
بالحب وعين ترعاني
ويد مدت لاب حدب
نحوي وشعور إنساني
فلويت الكف ولم احفل
منهم بالقاصي والداني

ولكنه لايقوى على تحمل هذا الندم الغضوض فيحاول- مباشرة-التخفيف منه، بل وإعادة التوازن لموقفه العاطفي وموقفه الفكري:

لم أذنب، كلا لم أذنب
نفذت إرادة أوطاني

□□□

ويبدو ان التبرير في - البيت الأخير-السابق لم يكف لإيقاف صوت ضميره الصارخ:

وهنالك همس يزعجني
دوما ويناشدني الثمنا

□□□

ويعزي نفسه-متمنياً - ان يكون الثمن هو ضرورة توجيه الثورة- التي تبناها- بأكملها لخدمة الشعب "الأمة":

ويقول عساك بما أسلفت
ذكرت الأمة والوطنا
وحملت العبئ بمقدرة
وهجرت الراحة والوسنا

ولكن وطأة الندم مازالت من الشدة بحيث جعلته يشك في أمنيته.. بل وحتى الاعتراف بخصلة لايحملها:

فأكاد أجيب وبي خجل
الكل تلاشى، غير "أنا"

ان الحضراني في هذه المرحلة متردد في موقفه من الثورة، بل يعذبه ويرهقه التردد في موقفه منها ففي الوقت الذي "مازالت" موجة الثورة غاضبة كان(هو "وشراعة" يبحران ولم يرسوا) في خضم تردده بين شعوره بالندم الناجم عن التزامه بالشرط الأخلاقي تجاه كل من احسنوا إليه او شعر بأنهم احسنوا إليه في ظل النظام الأمامي وبين ضرورة الثورة على ذلك النظام من اجل أناس لاتحفل لشيء!!

فاكتشفت حاجته المحلة الى حسم موقفه تجاه انقسامه على نفسه- وهو الانقسام الناجم عن ذلك التمزق الفكري (اللادرية والحيرة الفلسفية او هي التمزق ذاته ولكن في صورة موقف سياسي اجتماعي- والخلاص "الثورة" منه:

والموجة مازالت غضبي
وانا وشراعي لم نرس
والناس تسير كما كانت
طفل لم يحفل بالدرس
وقصارى الأمر أقول لكم
في همس لو اجدى همسي
أعظم بالثورة لو إني
فجرت الثورة في نفسي

□□□

ولئن كان التكفير العميق في الثورة وموقفه اليائس منها قد ارهقه، فقد اشفق على نفسه او يئس وتوقف عن التفكير .. تاركا ذلك للسطحيين في تفكيرهم وشعورهم وقيمهم من رفاقه:

وطويت الصفحة في صمت
فالصورة تبدو مهزوزة
وتركت السطح لفارسه
فرسان السطح لهم ميزة

غير انه يستفيق او يظن انه استفاق عندما تذكر الحظ السعيد- ربما ذلك "الحظ" الذي أنقذه من تنفيذ حكم الإعدام الذي كان ينتظره وهو معتقل في سجن/ قلعة حجة- ويعيد الاعتبار الى من وصفهم بالسطحيين من رفاقه، فيقرر حاسما موقفه الايجابي من الثورة التقليدية:

وذكرت الحظ.. فارعشني
وتذكر تربي ابريزه
وطغي البركان وثورته
قد كانت رفضا وغريزة

وأظن ان هذا الحسم غير أصيل.. او اختيار غير حقيقي، لأنه ناتج عن صدفة(تذكر) لصدفة أخرى هو "الحظ" قضى بها على تردده، وانقسامه وفصامه..

وبالرغم من ذلك يستمر الشاعر في تدعيم حسم موقفه السياسي، والاجتماعي لصالح الثورة بمفهومها المتداول والذي طالما رفض ذلك المفهوم(حتمية الضحايا من الأبرياء، انقلاب الثوار-فيما بعد- على قيمهم الثورية التخاذل او النسيان لأهداف الثورة باعتبارها من اجل الأمة والشعب، تولي سلطاتها من قبل أشخاص وقيادات لاتمت بصلة لروح الثورة) أقول يستمر تدعيم ما يظنه حسما لصالح الموقف الأول من الثورة راكنا لنجاح حركات التحرر العربية من الاستعمار الأجنبي:

ولدى "سيناء" وفي "جولان"
نكست الهامة إجلال
ونفضت الزيف باجمعه
ونسيت يمينا وشمالا
ووقفت احيي بخشوع
في الجبهة قومي الأبطالا
ان ماتوا ثم فقد تركوا
في كل فؤاد آمالا

□□□

ويؤكد حسن اختياره واقعا تحت تأثير المد القومي وحماس خطاب أصحابه:

قد كنت اسافر في تيه
والدرب يمزق اقدامي
معصوب العين بلا امل
لم ادر ورائي وامامي
واليوم اليوم بما بذلوا
امشي والشعلة قدامي
ويطول السير فلم اعبا
فالنسر يداعب أحلامي

ويذهب إلى ابعد من تأكيد خيار الثورة.. إلى حد ارتداد والتراجع، بل الانقلاب على فكرته الخلاقة عن الوطن والوطنية:

آمنت بقومي تاريخا
مهما كانوا وكما كانا
آمنت بأرضي انهارا
تجري بالخصب وكتبانا
من ارض "الشام" إلى "نجد"
فالى "بغداد" "وتطوانا"
آمنت بهم، وبوحدتهم
فكرا، شاوا، أو وجدانا

□□□

وهذه نتائج تبديل عقيدته في الثورة التي تقوم على مفهوم الوطن/ الوطنية المتداولة(الحدود، التاريخ، الطبيعة):

وكفرت بغرس لم يسق
لم ينم بأرض عربية
لم الملح فيه على قرب
نفحات البيد الوحشية
وانا من عاش بآفاق
ليست في الصفحة مروية
وبعدت، بعدت ولكني
آمنت اخيرا "بغزية"

ومع ذلك، وبالرغم من كل هذا الإيمان نجد الشاعر يضع لنا "هامشا" ولنفسه خطأ للرجعة!! عن عقيدته وإيمانه المستحدث القديم، ليبقى الشك.. هو سيد الموقف، وان المسألة (إيمانه الحالي بالثورة التقليدية مفهوما واسلوبا) لاتعدوا كونها أصبحت ضرورة إجرائية لابد من تجريبها، فان فشلت فان الشاعر لن يتردد كما يبدو في العودة الى كامل لحظته الثورية الخاصة(طريقته الخاصة في الثورة ومفاهيمه الجديدة التي تقوم عليها):

يانبع بلادي لاتبخل
فأخي في الجبهة ظمآن
يازرع بلادي لاتخلف
فانا من حولك غرثان
يارب الاسرة فلتنصف
الكل بسوحك اخوان
اولا: فاقبول بلاوعي
بركان بركان؟"
(ص١٢٣-١٢٥،ت ١٩٧٥م).

لكنه يكتشف بعد عقد من الزمان ان قناعته بالثورة التقليدية (لحظة الثورية الاولى) وتجربتها وتجريبه لها تشير- على الاقل- الى فشلها، فنجد الشاعر يمر بفترة انتقالية قبل ان يرتد فيكفر بالثورة التقليدية وباسلوبها بل والعودة الى رؤيته الثورية الخاصة.

ويمكن ان نصنف تلك الفترة بانها الشعور بالحزن والضياع، وما يترتب على ارتكاس في القناعة السياسية.. كل هذا في نص "الحداة والقافلة".

"وهنت في ساحة (الضرب) يدايا
ووهت من طول مسراها خطايا

ثم يقول :

كنت احدوها ويحدوها معي
صاحب لي في السرى جم المزايا
يرصد السير.. فلايرضى لها
مقلة تغمض،اونفسا .. تعايا..!

فيقر بحزن عدم جدوى الثورة او انحرافها:

فيطول السير ما من قبس
يتراءى، غير اشباح الضحايا
ونفوس هاهنا، او هاهنا
تتناجي، يا لاحلام المرايا..!

واخيراً يبرر فشل الثورة، وربما ايضاً فشل مشروعه الثوري الخاص(أي فشل اللحظتين الثوريتين معا) ثم يشعر جراء ذلك بالوحدة، او العزلة او الغربة والحنين الى رفاق السنين الخوالي من الكفاح:

آه للأيام تغتال الرؤى
كل حال بينيها حائلة
حكمها يجري- على ماتشتهي
لا على ماتشتهية السابلة
تعكس الاشياء حتى يغتدي
عالي الشيء يضاهي سافله
من معيني.. وانا اجتازها
في عراك؟ وهي حولي صائلة.؟!
ارفع الصوت فمن يسمعني؟
اين انتم يارفاق القافلة؟"
(١٣١-١٣٢ت:١٩٨٧م)

واخيراً

هاهو يعود الى رؤيته الثورية الخاصة، ولكن بعد ان يهاجم مدينا مفهوم الثورة التقليدية.. فيكشف اولا مايبدو له تناقضا فيها، ويرفضه.. انها من اجل الإنسان وابادة له في الوقت نفسه:

"ايا من ترسل الدمع سخينا طرفها الباكي
على واحدها البكر.. رمته كف سفاك
دعي النوح فما يجدي بان تدمع عيناك
هو القاتل والمقتول، والمشكو والشاكي
لماذا حمل السيف لماذا لبس "الكاكي"؟

□□□

الا يا امه الثكلى ويا والده المحزون
لقد اودى وان الذنب في نفسيكما مخزون
وماهو غير تعبير لشيطانكما الملعون،
ايبكى واحد اودى، ولايبكى على مليون؟
على النفس على القلب، على المتمرد المجنون!

□□□

تعد النار يا انسان، والصاروخ و"الذرة"
وتذكر من طوته الحرب بالحسرة، والعبرة
فما اسخفها دعوى، وما اكذبها فكره..
على نفسك فلتبك
على طينتك القذرة
على الشر، على الحقد
على الغش، على الاثرة

□□□

لقد آن بأن تصحو
وان تفهم يا انسان
على لعلعة الذرة
او قعقعة الصوان
وان تنتزع الشر
وان تستأصل الطغيان
وتبحث في حناياك
عن الرحمة توليها

□□□

عن الخير، عن الايمان
عن الصفح،عن الاحسان

ويتوصل الى مايوحي بتفسير ذلك التناقض بانه طبيعة او غريزة بشرية- وحشية-لايمكن التخلص منها:

على نفسك فلتبك
على طينتك القذرة
على الشر على الحقد
على الغش،على الإثرة

ان رفضه وادانته للثورة التقليدية اسلوباً، ونتائجاً ليس قاصراً/ ناجماً عن التجربة اليمنية لها، بل هو موقف يشمل تجربة العالم لها مادامت تقوم على مفهوم واحد واسلوب واحد ونتائج واحدة(العنف، القتل، الحرب، الدمار) وان اية ثورة لابد ان تكون من اجل خير البشرية..

اذن كيف يمكن ان تقوم بثورة- نتائجها سريعة بالمقام الاول-دون ان تقوم على التضحية او ان تكون بلا ضحايا، او عنف أو..أو..؟

ان الشاعر لم يجب ولايجيب، بل ولايمكنه الاجابة، فمشروع مفهومه الثوري الجديد لايمتلك الكيفية السريعة لذلك.

وهكذا فان مشروعه فاشل.. فماذا بقي له القوه؟انه لايريد الثورة التي عرفتها المجتمعات الانسانية وجربتها وماذا بقي له؟ مالقوة او الوسيلة التي ستغير مجتمعه بسرعة دون ان يخسر او يتنازل اويضحي او يتجاوز او يمسح لقطرة دم واحدة ان تسقط؟ كيف ينفذ مشروعه الثوري بذلك الاسلوب(النقدي) الطويل والطويل جداً؟

انه يعجز عن فعل ذلك، عن القدرة على فعل وتنفيذ ذلك. لذا نجده-مثل كل عاجز رافض- يلوذ بالوعظ:

"لقد آن بان تصحو
وان تفهم يا إنسان
على لعلعة الذرة
او قعقعة الصوان
وان تنتزع الشر
وان تستأصل الطغيان
وتبحث في حناياك
عن الخير عن الايمان
عن الرحمة توليها
عن الصفح عن الاحسان
"(ص١٣٥-١٣٦).

الشاعر الراحل: "عبدالله هادي سبيت"

عاشق الوطن وعاشق المرأة

إسكندر عبده قاسم

شاعرنا من حوطة لحج ولد فيها وترعرع.وتعلم في مدرستها المحسنية تم أصبح مدرساً فيها حقبة من الزمن.ثم أصبح وكيلاً للمعارف اللحجية سنة ١٩٤٨م.

كيف بدأ الشعر؟

لذلك قصة بسيطة.أن المرحوم الأمير أحمد مهدي بن علي كانت له جلسات وسمرات في خلوته وكان ذلك حوالي ١٩٣٦م وفي تلك الأيام كان الأمير عبدالله بن عثمان سلطان الفضلي- نازلاً ضيفاً عليه في لحج.

وكان المجلس يضم دائماً الشاعرين الأستاذ المربي المرحوم حسن أفندي والشاعر مسرور مبروك.

وكانت تثار بينهما مساجلات شعرية.وكان والد شاعرنا يحضر هذه الجلسات ويصطحب معه ابنه الذي كان فضولياً إذ كثيراً ما أراد أن يجاري الشاعرين فيسكته والده.ومن ذلك الحين أحس الشاعر بقوة عنيفة تدفعه لأن يقول الشعر.

وقد كان.

وبدأ الشعر الحميني القومي بحسب مجالسته لشعراء لحج.ثم دفعته الأعياد والمناسبات لأن يجرب الشعر العربي وقد أجاد

شخصيته؟!

□ الشاعر عبدالله هادي شخصية عجيبة يحار الكثيرون في فهمها وإدراكها لأنها شخصية عجيبة مثالية في زمن يكفر أهله بالمثل العليا والمثاليين ولد فنانا والفنان شديد الحساسية يتأثر بالهواء والكلمة العابرة وبالفكرة الغامضة.أما محصوله الثقافي فمتوسط إذا لم يتلف علومه في الجامعات.وإن أخذ النصيب المطلوب من الاطلاع وبيئته جاهلة متزمتة كل هذه العوامل خلقت من عبدالله هادي شخصية حائرة مكبوتة.

بلاده وبيئته تشقى بالجهل.وتشقى بحكامها وهو شخص حساس يرى الظلم.ويسمع الأنين.فيمسك القلم ويترجم به شعور أمته في قصيدة ثم ينصح ما وسعه النصح ويرجع آخر الأمر فيرى كلامه قد ذهب هباء فيتألم ويحترق.

ولكن روحه قوية بالرغم من ضعفه.ومعنوياته عالية ومتجدده بالرغم من شكاته وما أحجامه وحيرته وشكاته إلا إذكاء لروح المقاومة الجبارة.وما احتراقه إلا كاحتراق الحديد يزيده ذلك قوة ومتانه ومنعه.

لذلك ترى في شعره مسحة من الحزن والألم لا تفارق معظم قصائده والمتأمل في قصيدته آمال فآلام يرى صورة حية صادقة عن شخصية عبدالله هادي.

حياته جلها حزن وألم وأسى.

حزن على الحالة الاجتماعية.وألم من الحياة السياسية وأسى على اضطراب المعيشة والمحيط العائلي.

ثم هناك حزن في قلبه لا نستطيع أن نصوره إلا بعد الإمعان الشديد في قصائده الماضية وقصائده المقبلة.

والمتعمق في دراسة شخصيه الشاعر سيرى بعد التمحيص إن شعر ابن هادي وشخصيته تتركز في كلمة واحدة الوطن فهو يحب هذه البلاد ويحب كل من يسعى لخير البلاد فإن أفتخر أفتخر ببلاده وأمته وأن نصح نصح لبلاده وأمته وهو آخر الأمر أن تغزل فإنما يتغزل في بلاده.

فنفسه قد أشربت حب هذا الوطن وحب أمته.ولكن هذا الحب كلفه غالياً. كلفه راحته وسلواه كلفه الحب أن يحرق شبابه على مذبح الوطنية دون أن يجد لما يقول صدى.

هناك على حقات أصبحت مزنه
تذاب ولكن في هشيم من الناس

والذي يقرأ قصيدته في عيد رأس السنة الهجرية ١٣٦٩ والتي يقول في مطلعها

امل يترجمه الشعور قصيدا
ومني يرددها الفؤاد نشيدا

يراه يقول..

وجعلت من وطني حبيباً حبه
يملي الشقاء فيكتب التخليدا
ما أن شقيت به وذبت صبابة
ألا طلبت من الشقاء مزيداً

إذاً فشاعرنا يفهم أن حبه لهذا الوطن سيجلب له الشقاء وهو راضي بهذا الشقاءبل يطلب منه مزيداً.ولكن من هو سبب هذا الشقاء؟

يجيبك الشاعر فيقول:

في أمه أحييتها في خافقي
أملاً وعشت بحبها مصفودا
ما أن بعثت بصيحتي في سمعها
ألا ولاقت جفوة وجحودا

ولكنه بالرغم من ذلك كله يستمر يخاطبها فيقول:

يا أمه الوطن الحد الخصيب تيقظي
قد فاز من قطع الحياة جهودا
يا أمه الوطن الأغر تجلدي
أن الحياة لمن يعيش صمودا
يا قوم من قطع الحياة منظماً
أمسى على جيد الزمان نضيدا

المرأة والشاعر

ويقول الأستاذ عبدالله علي الجفري في ديوان الدموع الضاحكة والذي صدر عام ١٩٥٣م للشاعر عبدالله هادي سبيت عندما كنت في جدة وأرسل الشاعر قصيدته اعتراف والتي يقول في مطلعها

نظرة من مقلتيها
تسلم الروح إليها

فعرضت القصيدة على أحد شعراء الحجاز.فما أن أتم قراءتها حتى قال "إذا كانت له حبيبة فإنها تصد عنه بسرعة"

فقلت له "أصبت لأنه يتطلب شيئاً فريداً يطلب من المرأة فوق طاقتها"

والمرأة وليدة المجتمع فإذا كان هذا المجتمع أغلبيته كبيرة ممن يحملون آراء الشاعر فإن المرأة ستكون عند حسن ظنهم بها.أما والمرأة في بلادنا بل وفي بلدان أخرى تعيش في مجتمع مادي وجاهل فالعكس يكون.ويكون الشاعر أو الرجل مغال ومكابر عندما يطلب من المرأة أن تلعب دوراً آخر لا تعرفه ولا تفهمه ولا تعتقده وهي ليست متعلمة.بل أنها إذا كانت متعلمة فإنها ستفهمه ولكنها لا تستطيع أن تقاوم تيار المجتمع الجاهل المادي بأي حال من الأحوال.

إلا أنني أؤكد أن الشاعر أو أي رجل يستطيع أن يجد في مجتمعنا امرأة مخلصة فقط.ولا يطلب منها أكثر من ذلك. وهذا قليل بالطبع.وهذا ما يطمع فيه رجل مفكر يفهم أنه إذا أراد من المرأة أكثر من ذلك لا أ فسدها.وأفسد طبيعتها لأنها لا يسعها إلا التقليد الأعمى المبني على الجهالة والعياذ بالله.

والقارئ إذا تصفح قصيدة "حواء" فسيرى اعتراف الشاعر أن ما يصبو إليه من جمال المرأة المادي والروحي إنما هو خيال في خيال

الوحدة اليمنية مصدر فخر وقوة لكل العرب